الفصل الثاني

طبيعة النظرية الإجتماعية وخصائصها

تـمهيد

التنظير أمر مألوف في حياتا اليومية سواء أدرك الناس ذلك أم لا. والتنظير الذي يستند إلى التفسير يعتبر مهماً نظراً للحاجة إلى تفسير الوقائع. ومهما كانت ظروفنا جيدة أو سيئة فلا بد أن نفسر لأنفسنا وللآخرين وذلك بأن نعزو الوضع الحالي إلى تجارب سابقة أو قرارات أو مؤثرات اجتماعية أو ضغوط الآخرين أو البيئة أو نقص الفرص المتاحة... إلخ.

ومن أمثلة التنظير الذي يستند إلى التفسير محاولة الأب تفسير سبب عدم نجاح ابنه في مادة دراسية معينة أو تفسير الأم لتأخر ابنها في العودة من المدرسة أو قيام المدرسين والقادة السياسيين ورجال الأمن بتبرير ما يقولونه لأنفسهم وللآخرين.

وعملية التخطيط والتنبؤ بالمستقبل يتطلبان تجاوز الحقائق القائمة والقيام بالتنظير إذ أن التنبؤ بالمستقبل بدقة تامة عملية مستحيلة، فما نفعله نحن في هذا المجال مجرد افتراضات أو (تخمينات) تتسم بالبراعة ثم نقوم بتعديل أو (تغيير) سلوكنا في ضوء توقعاتنا وآمالنا. فالصغار مثلاً يختارون مهنة المستقبل والآباء يتوافقون مع سلوك أطفالهم، والزبائن يخططون لمشترواتهم والباعة يطورون أساليب جديدة في البيع. كما يقوم القادة السياسيون بالتفكير في مشكلات السياسة الخارجية. ويقوم الطالب بإعادة التخمين حول الأسئلة التي تشملها الامتحانات. وجميع هؤلاء يظهرون الحاجة إلى المضي وراء الحقائق المتاحة والحاجة إلى التنظير (Hage : 1972 : 6,7).

وبالرغم من قيام الناس في حياتهم اليومية بالتنظير فإنهم لا يدركون دائماً الافتراضات النظرية التي تعتبر أسس تفسيراتهم وتنبؤاتهم أو البناء المنطقي لاستنتاجاتهم من حقائق الحياة اليومية المتاحة. كما أن نظريات الحياة اليومية غالباً ما تكون مضمرة وغير صريحة، وتتمثل دائماً في الأعراف والحكم الشعبية التي يتداولها الناس العاديون، وقد تكون في الحكم والمأثورات القديمة، وقد يرمز إليها في معتقدات حول الطبيعة الإنسانية أو طبيعة المجتمع كالاعتقاد بأن الناس يملكون صفات راسخة تميزهم عن سواهم من الحيوانات الأخرى أو الاعتقاد "أن السلوك الخيرّ" يستحق الثواب وأن "السلوك الشرير" يستحق العقاب. هذه النظريات الضمنية تشكل اتجاهاتنا نحو الناس الآخرين في المجتمع.

لكن النظريات العلمية تختلف عن الافتراضات الضمنية وغير الواعية في حياتنا اليومية. لذا يجب الانتقال من الإدراك البسيط لنظريات الحياة اليومية إلى إدراك النظرية كجزء من عمل علمي. وهذا الانتقال يجعلنا أكثر وعياً وإدراكاً لبناء النظرية الصريحة، ونصبح أكثر موضوعية وأكثر نقداً للذات وأكثر تجريداً من التنظير السالف الذكر في الحياة اليومية (Hage : 1972 : 6,7).

ويمكن النظر إلى بعض الفروق بين التفكير النظري بصيغته اليومية وبين التنظير للنظرية الاجتماعية فيما يلي:

١- إن النظرية الاجتماعية تحاول أن تكون أكثر تنظيماً في نظرها إلى الأفكار والخبرات معاً.

٢- الفرق الثاني يظهر في عملية إقامة الأنساق النظرية ما يدعى الرتبة الثانية Second Order وهي مشكلات تتعلق بأفضل الطرق في إجراء عملية الأنساق وهي عملية لا تربط إلا بشكل غير مباشر بتفسير خبراتنا ومن الأمثلة على ذلك الجدل الذي يمكن أن يدور حول ما نعنيه بالتفسير ومتى يكون التفسير كافياً ومتى لا يكون.

٣- الفرق الثالث إذ يمكن أن تقود عمليات التنظيم المختلفة إلى الاستنتاج بأن ثمة ظواهر موجودة في الحياة ليست لنا بها خبرة مباشرة. وفي أحيان أخرى قد تكون هذه الظواهر على عكس ما كنا نتوقع من خبراتنا الحياتية. ولعل قبول ذلك أصعب كثيراً في حال الواقع الاجتماعي بينما نحن نقبله في حال الواقع المادي وهذا ما يدعونا إلى أن نظل منفتحين ذهنياً على الأقل. (كريب: ١٩٩٩: ٨٢، ٩٢).

إن إدراك طبيعة النظرية في العلوم الاجتماعية لا يقتصر على التمييز بين النظرية المضمرة في موروثاتنا الشعبية التي نقوم بها في حياتنا اليومية وبين النظرية العلمية الصريحة، ولكن هناك جوانب أخرى مهمة يجب الإلمام بها من أجل إلقاء مزيد من الضوء على النظرية الاجتماعية وهي: تعريف النظرية، التمييز بين نظرية علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية، بعض التصورات الخاطئة عن النظرية، أهدافها، أبعاد النظرية وقواعدها، النظرية والحقيقية. هذه الموضوعات نحاول أن نتناولها بالعرض والتحليل في هذا الفصل.

أولاً: معضلة التعريف

هناك تعريفات للنظرية[1] بعدد المنظرين. ويمثل تعريف النظرية مشكلة منهجية تتمثل في اختيار التعريف الأفضل منها أو حتى المفاضلة بين التعريفات. وتتمثل المشكلة في تحديد خصائص النظرية الجيدة أو الملائمة. وهنا تتباين الآراء والتصورات إلى حد بعيد.

---

(١) ينشأ أحياناً خلط بين معان ثلاثة من المصطلحات هي: النظرية، والفكر، والمفهوم. وهذه المصطلحات ترتبط بثلاث دلالات مختلفة. أما الفكر Thought فيشير إلى الأفكار والمفاهيم العلمية أو المناهضة للعلم. والفكر الاجتماعي Social Thought يعني الأفكار التي تتعلق بمجالات مختلفة في المجتمع. أما النظرية فتشير إلى تلك الأفكار، العبارات أو العبارات النظرية القابلة للتحقيق Verifiable. أما المفهوم فهو المعنى المجرد المرتبط بشيء، موقف أو فعل معين. وتستخدم المفاهيم في بناء النظرية كأدوات أو (وسائل) وأبعاد ومن أمثلة المفاهيم: المجتمع المحلي Gemeinchaft والمجتمع (الكبير) Gesellschaft، الجماعة، الطبقة، الوظيفة والخلل الوظيفي. وتختلف النظرية عن المفهوم من حيث إن النظرية تمثل البناء بينما المفهوم يمثل عنصراً يشكل جزءاً أساسياً من النظرية. انظر:
B.D. Tripathi, Nature of Sociological Theories: The Action Approach (Delhi;: .Sterling Publication Pvt Limited, 1977) P: 104

ونظراً لتعدد تعريفات النظرية وتباينها الكبير، فمن الملائم تصنيف تلك التعريفات إلى أنماط وفق الخصائص الأساسية التي تركز عليها التعريفات في كل نمط.

١ - القابلية للاختبار

يعرِّف فيرتشايلد (H . Fairchild) النظرية بأنها "أي تعميم يتعلق بالظاهرة الاجتماعية تمت صياغته بطريقة علمية وملائمة بحيث يكون أساساً موثوقاً يعتمد عليه في التفسير السوسيولوجي" (Fairchild : 1961 : 294).

ويرى بيلي K. Baily أن النظرية محاولة لتفسير ظاهرة معينة. فالعبارة التي لا تبحث عن تفسير أو تنبؤ ليست نظرية. لذا يجب أن تكون العبارة قابلة للاختبار... وتجيب النظرية عن أسئلة لماذا؟ وكيف؟ لذا تعرف النظرية بأنها "عملية التفسير والتنبؤ للظاهرة الاجتماعية"(Baily : 1978 : 33).

أما كيرلينجر Kerlinger فيرى في هذا السياق أن النظرية "مجموعة من المكونات التصورية: المفاهيم والتعريفات والقضايا التي تمثل نظرة منظمة للظاهرة بتحديد العلاقات بين المتغيرات بهدف التفسير والتنبؤ" (Black And Champion : 1976 : 55).

أما كابلان A. Kaplan فالنظرية بالمعنى الضيق لديه يختلف عن المعنى الذي يستخدم على مستوى التطبيق وهو ينظر إلى التنظير على نطاق واسع بأنه نشاط عملي جداً وقد يكون بالفعل تأملاً ولكنه نوع آخر من الفعل ليس سلبياً ولا حراً (مطلقاً بدون قيود أو ضوابط).

ويرى آخرون أن النظرية مجموعة من التعميمات تستند إلى التجربة وتم إثباتها بصورة جيدة وهي مجموعة من القوانين (Kaplan : 1964 : 295) .(Laws).

أمـا ولاس W. L. Walace فيرى أن النظرية مجموعة من الرموز يمكن إثباتهـا والتـي تعبـر عن فئـات من الظواهر وواحدة أو أكثر من العلاقات بينها. وأن النظرية تشتمل على فئة معينة من الظواهر وتصاغ بطريقة تهدف إلى تفسير الظـاهرة ضمن فئـة الظواهر واعتبار الظواهر في تلك الفئة نواتج سببية لظاهرة سابقة أو يتم استنتاجها منطقياً من تجريدات أعلى أو من كليهما معاً (Walace : 1969 : 3).

ويلاحظ أن التعريفات السابقة تجمع على قابلية النظرية للاختبار وإمكانية التفسير والتنبؤ بواسطتها، وأن النظرية التي لا تتوفر فيها هذه الشروط لا تعتبر نظرية علمية أو ملائمة لتحقيق أهداف العلم.

٢ - التجريد

هناك تصورات عديدة في علم الاجتماع ترى أن النظرية تتسم بالتجريد وعدم القابلية للاختبار حيث تطلق على أفكار دوركايم وماركس وفيبر كلمة "نظرية" لأنها مجموعة من العبارات غير قابلة للاختبار، وهكذا فإن أحد معاني النظرية أنها تفسير ممكن، ولكنه غير قابل للاختبار.

ويرى كابلان أن النظرية بالمعنى الضيق تعني تفكيرًا أو تأملاً ويجب أن ينظر إليها على أنها نشاط مختلف عن التطبيق أو الفعل (Kaplan : 1964 : 295).

ويتفق عدد كبير من العلماء على تعريف النظرية بأنها مجموعة من القضايا أو العبارات النظرية ومنهم زيتربرغ وجالتون ورينولدز. وقد تكون في صورة رسم بياني أو خطي أو نظرية بديهية أو مجرد افتراض.. والنظرية ليست مجرد مفهوم أو مجموعة مفاهيم فحسب ولكنها مجموعة من المفاهيم مترابطة فيما بينها يطلق عليها نظرية (Hage : 1972 : 112).

وهنـاك مـن يـرى أن النظريـة مجـرد فكـرة أو افتراضـات لم يتـم اختبارها (Rynolds : 1971 : 11).

أما روز A . Rose فيعتبر التجريد من أهم الصفات التي تميز النظرية في علم الاجتماع فهي عبارة تستخدم لغة التجريد وتهدف إلى تفسير نطاق واسع أو محدد من الظواهر المحددة بأنها اجتماعية (Rynolds : 1971 : 11).

وتستخدم كلمة نظرية أيضاً للإشارة إلى مجموعة أخرى من الصيغ المجردة التي تتضمن تصورات غامضة أو أوصافاً للوقائع والأشياء.

أو هي مجموعة من التعريفات المترابطة، البديهيات، القضايا المشتقة من البديهيات أو القضايا المستمدة من التصورات الرياضية للنظرية وتدعى البديهية (Axiom) (Rynolds : 1971 : 10, 11) .

ويتضح من مراجعة التعريفات السابقة أنها تركز على صفة التجريد في النظرية فهي إما تفكير أو تأمل ونشاط مختلف عن التطبيق أو الفعل أو حتى مجرد فكرة أو اقتراحات لم يتم اختبارها أو هي صيغ مجردة تتضمن تصورات أو أوصافاً غامضة أو هي مجموعة من القضايا أو العبارات النظرية غير القابلة للاختبار.

٣ - العلاقات والاتساق المنطقي بين الأجزاء

ركز عدد من فلاسفة العلم وعلماء الاجتماع في تعريفهم للنظرية على العلاقات والترابط والاتساق بين أجزاء النظرية.

فالنظرية لدى جونسون Johnson "مجموعة من القضايا مترابطة ومتسقة منطقياً تصف ـ على مستوى عال من التجريد ـ وتفسر مجموعة من الظواهر المنطقية" ذلك أن القضايا المنفصلة لا تشكل علماً. وتنظيم القضايا يحقق الترابط المنطقي عموماً. إلا أن القضايا لا تسهم وحدها في وجود النسق النظري لأنها تفترض مسبقاً وجود مجموعة من مفاهيم مجردة ومتسقة منطقياً ولها صلة بالواقع. هذه المفاهيم هي المقولات ضمن النسق النظري التي تنشأ عنها القضايا الواقعية (Johnson : 1981 : 44).

أما النسق النظري لدى ماكيني Mckinny فهو إطار تصوري يشتمل على مجموعة من المفاهيم يحتل كل منها موقعاً في علاقته بالآخر، بينما يفترض كل مفهوم منها معنىً بالنسبة للمفاهيم الأخرى، والإطار ككل مسألة درجة تعكس المدى الذي يكون فيه كل مفهوم دالة لنمط العلاقة مع المفاهيم الأخرى (Mckinny : 1966 : 36).

كما يرى تيماشيف من جهة أخرى أن النظرية مجموعة من القضايا يجب أن تتوافر فيها عدة شروط هي:

أ) أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محددة بدقة.

ب) يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى.

ج) أن توضع بشكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات اشتقاقاً استنباطياً.

د) أن تكون القضايا خصبة ومثمرة تستكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى وتعليلات تنمي مجالات المعرفة (تيماشيف: ١٩٧٠: ١٤).

ويتفق بلاك وشامبيون Black And Champion مع تيماشيف في تعريفهما للنظرية التي يجب أن تتوافر فيها مجموعة من الشروط، فالنظرية مجموعة من القضايا مترابطة وتحدد علاقات سببية بين المتغيرات(Black And Champion : 1976 : 56).

ويركز برث ويت على مسألة العلاقات والاتساق بين أجزاء النظرية فالنظرية لديه "مجموعة من الفروض تشكل نسقاً مبنياً على الاستنباط وهذه الفروض يجب أن تكون منظمة كمقدمات منطقية تشتق منها جميع الفروض الأخرى منطقياً" (Black And Champion : 1976 : 56).

أما جالتونج J . Galtong فالنظرية لديه هي "مجموعة من الفروض تم بناؤها مع مراعاة علاقة التلازم أو (قابلية الاستنباط) أو بصورة أكثر تجريداً" (Galtong : 1973 : 451).

هذه التعريفات للنظرية تعتبر أن أهم خصائص النظرية التي يجب مراعاتها في الصياغة هي نمط العلاقات والاتساق المنطقي بين مكونات النظرية ويتضح ذلك بصورة جلية في تعريفي تيماشيف وبريث ويت، فالعلاقات يجب أن تكون استنباطية أو سببية كما يجب أن يكون هناك اتساق منطقي بين القضايا أو العبارات التي تتألف منها النظرية.

٤ - المدى أو النطاق

عرف علماء الاجتماع النظرية الاجتماعية من حيث مدى أو نطاق الظواهر الاجتماعية التي تشتمل عليها. وهناك اتجاهان في هذا المجال:

أ) هناك تصور للنظرية كتفسير عام أو نظرة شاملة لتفسير معظم الظواهر الاجتماعية. فقد رأى بارسونز أن الظاهرة الاجتماعية يجب أن تكون واسعة، " فالنسق النظري الذي يعتبر أساسياً في علم الاجتماع يجب أن يكون أوسع من علم الاجتماع ذاته" "ويجب أن يكون نظرية في الأنساق الاجتماعية". إن جميع النظريات الواسعة المدى يجب أن تتضمن جميع النظريات الأخرى بالرغم من أنها افتراض يقبل التوسع والتعديل.

ب) أما النوع الثاني من النظرية فيدعى النظرية المحدودة مقابل النظرية الواسعة المشار إليها آنفاً ويمكن تعريف النوع المحدود من النظرية بأنه "مجموعة متكاملة من التعريفات، الافتراضات والقضايا العامة التي تغطي موضوعاً معيناً ويمكن من خلالها استنتاج مجموعة متسقة من الفروض المحددة والقابلة للاختبار".

وقد أطلق ميرتون R . Merton على هذا النوع من النظريات: "النظريات متوسطة المدى" Theories Of The Middle Range "" وقد ركز ميرتون على هذا النوع من

النظريات باعتبارها تقابل النظريات الواسعة المدى، وقدم أمثلة جيدة لها ومنها نظرية سلوك الجماعة المرجعية والبناء الاجتماعي واللامعيارية.

والنظريات متوسطة المدى تخضع للتوسع والتنقيح ولكنها لا تستخدم لتفسير معظم الظواهر الاجتماعية، وبذلك فهي تختلف عن النظريات الأخرى في علم الاجتماع التي تهدف لتفسير النظريات الاجتماعية (Rose : 1964 : 675,6).

وهكذا تركز التعريفات السابقة على مدى أو نطاق النظرية. أي مدى الظواهر الاجتماعية التي تتضمنها النظرية وقد اقتصرت على نمطين فقط النظريات الكبرى أو واسعة المدى والنظريات المحدودة أو متوسطة المدى.

تعقيب

بمراجعة التعريفات المختلفة للنظرية الاجتماعية يلاحظ ما يلي:

١- إن هذه التعريفات قد ركزت في معظمها على خصائص أو جوانب معينة في النظرية فبعضها ركز على القابلية للاختبار . وركزت مجموعة ثانية من التعريفات على صفة التجريد في النظرية بينما ركز قسم ثالث على العلاقات والاتساق المنطقي بين أجزاء النظرية. أما الفريق الرابع من العلماء فقد ركز على مدى أو نطاق النظرية. وكان الواجب أن يتضمن أي تعريف الإحاطة بالصفات والخصائص الأساسية للنظرية دون التركيز على خصيصة أو اثنتين وإغفال الخصائص الأخرى إذ المطلوب في التعريف "أن يكون جامعاً مانعاً".

٢- إن التركيز على صفة أو مجموعة من صفات النظرية يرجع كما يبدو إلى الخلفية العلمية أو تخصص أو اهتمام المنظر في المجالات العلمية الفرعية فالباحث الذي يهتم في تعريفه للنظرية بقابليتها للاختبار والتنبؤ والتفسير بها

يحقق أهدافه في البحث تعتبر خصيصة "الإمبريقية" أهم خصائص النظرية لديه. أما التجريد فلا يخدم أهداف بحثه. أما من ركزوا على صفة التجريد في تعريفاتهم للنظرية فهم غالباً المنظرون الذين يقومون بصياغة نظريات شاملة وواسعة عن الظواهر الاجتماعية والمجتمع وهي النظريات ذات المدى الواسع أو نظريات الوحدات الكبرى Broad Theories مثل نظريات دور كايم وفيبر وماركس وبارسونز.

ومن جهة أخري فإن الفريق الثالث الذين ركزوا في تعريفهم للنظرية على العلاقات والاتساق المنطقي بين مكونات النظرية هم من المهتمين بعلم الاجتماع الصوري Formal Sociology الذين يركزون على التمييز بين صور التفاعل الاجتماعي ومضمونه وتحليل الصور منفصلة عن المضمون لهذا اهتموا بالمبادئ التي تحكم العلاقات بين مكونات النظرية والاتساق المنطقي بينها.

وأخيراً هناك من ركزوا في تعريفهم للنظرية على المدى أو النطاق من أمثال روبرت ميرتون R . Merton فهؤلاء كان موضع اهتمامهم التمييز بين النظرية الكبرى Broad Theory التي تنطوى على عدد كبير من القضايا المترابطة وتضع إطاراً تصورياً يمكن من خلاله تفسير فئات كبرى من السلوك الإنساني والنظريات متوسطة المدى Middle Range Theories - التي تحاول تفسير نطاق محدود من السلوك الإنساني، مما جعل البعض يصفها أحياناً بأنها نظريات مصغرة.

إن معظم التعريفات السابقة لا تحيط منفردة بمفهوم النظرية ولكن كلاً منها تنظر إلى النظرية من زاوية واحدة وتغفل بقية الأبعاد والخصائص والشروط التي يجب توافرها في النظرية.

لذا حاولنا أن نتلافى في التعريف التالي أوجه القصور والنقص في التعريفات السابقة وبهذا يمكننا تعريف النظرية بأنها "نسق تصوري يشتمل على مجموعة من المفاهيم تشكلت في عدد من القضايا حول الظواهر الاجتماعية ويشترط في

هذه القضايا أن تكون مترابطة بصورة منظمة ويوجد بينها اتساق منطقي بحيث يمكن استنباط القضايا التالية من السابقة التي تعتبر مقدمات منطقية لها. والنظرية الاجتماعية يخضع بعضها للاختبار الإمبريقي ويمكن اشتقاق التعميمات الإمبريقية منها وتنطوي على إمكانية التفسير والتنبؤ والبعض الآخر من هذه النظريات غير قابلة للاختبار الإمبريقي".

ثانياً: نظرية علم الاجتماع[٢] أم النظرية الاجتماعية؟

يستخدم مصطلحا نظرية علم الاجتماع Sociological Theory والنظرية الاجتماعية Social Theory مترادفين. ولكن في الحقيقة إن المصطلح الثاني أوسع من المصطلح الأول. فمصطلح النظرية الاجتماعية يتضمن نظريات علم الاقتصاد، والسياسة، والتاريخ، وعلم النفس الاجتماعي، والعلوم الأخرى التي تعتبر المجتمع وحدتها في التحليل.

وقد أغفل بعض المنظرين هذه المسألة، واستخدموا مصطلح النظرية الاجتماعية بمعنى نظرية علم الاجتماع ومثال ذلك ماكس بلاك Max Black في مؤلفه "النظريات الاجتماعية لتالكوت بارسونز" (Social Theories Of Talcot Parsons). (Tripathi : 1977 : 103).

ويتمثل الاختلاف الأساسي بين النظريات في العلوم الاجتماعية المختلفة ونظريات علم الاجتماع في أن النظريات في العلوم الاجتماعية الأخرى ترى المجتمع من منظوراتها الخاصة. أما نظريات علم الاجتماع فهي منظورات تركيبية (توليفية) Synthetic . وبتعبير

---

(٢) يرى تريبائي Tripathi أن مصطلح نظرية المجتمع Theory of Society أكثر دلالة من نظرية علم الاجتماع. فمصطلح نظرية علم الاجتماع لا يتضمن تحديداً وصراحة موضوع التنظير في علم الاجتماع، ولكن على النقيض من ذلك تتضمن نظرية المجتمع أن موضوع التنظير هو المجتمع ذاته أو أنماط الفعل لدى شعوب مختلفة. وبذلك فإن نظرية المجتمع تعني النظرية العلمية للمجتمع وأن هذا المصطلح يخدم هدف العلم بصورة أفضل. انظر: (Tripathi: 1977: 104).

آخر فإن نظريات علم الاجتماع تهتم بالفاعل الكلي ونمط فعله في مواقف اجتماعية - ثقافية مختلفة بينما تهتم نظريات العلوم الاجتماعية الأخرى بأنماط معينة من الفاعلين والأفعال:

١ - فنظريات علم الاقتصاد مثلاً تهتم بأنماط الاختيار Choice Patterns للفاعلين من حيث الوسائل والغايات. حيث يوجد لديهم عدد من الخيارات لاستخدامها.

٢ - أما النظرية السياسية فتقتصر على أفعال الإنسان في علاقته بالدولة.

٣ - وتهتم نظريات التاريخ بأنماط الفعل الماضية لدى شعوب مختلفة.

٤ - أما نظرية علم النفس فتختلف عن نظرية علم الاجتماع ـ من حيث مدخلها في المجتمع ـ في نقطتين:

أ) بينما تهتم نظرية علم الاجتماع بالكشف عن الأنماط العامة للفعل، فإن نظرية علم النفس تهتم بالفعل أو (السلوك) في حد ذاته. وتتمثل المشكلة في علم الاجتماع في تحديد مسارات الفعل التي يسير عليها الإنسان بصورة دائمة ومؤقتة. أما علم النفس من جهة أخرى فهو أقل اهتماماً بهذه المسألة حيث يهتم بنمط (أسلوب) تصرف الإنسان.

ب) يهتم علم الاجتماع بتفسير طبيعة الأسس الثقافية الاجتماعية للفعل الإنساني بينما يهتم علم النفس بصورة أساسية بالأسس الشخصية للفعل (Tripathi : 1977 : 103 , 104).

ثالثاً: بعض التصورات الخاطئة للنظرية

ما هي النظرية؟ للإجابة على هذا السؤال هناك عدة تصورات خاطئة يجدر بنا مناقشتها بهدف تلافيها والتخلص منها لأنها تسبب الخلط والتشويش في عملية صياغة النظرية الاجتماعية وإدراك أهميتها وهي:

١ - النظرية كأفكار وهمية

هذا التصور للنظرية منتشر على نطاق واسع، ويتضمن أن النظريات ليست إلا مجرد أفكار وهمية في أذهان الدارسين وليست لها صلة بالواقع Reality وأن معظم النظريات لا صلة لها بوقائع الحياة اليومية، ولا تواجه مشكلات الحياة ولا توجد لها حلول مثل: طريقة الحصول على وظيفة، إقامة حياة زوجية سعيدة، عدم انتهاك القانون، تجاوز المآسي الشخصية وهلم جرا، ويبدو أن النظريات لا طائل من ورائها في هذه المسائل. ويمكن النظر إلى النظريات بجدية لو أدت إلى حياة أفضل... (Black and Champion : 1976 : 53).

ولإثبات خطأ هذا التصور ينبغي إدراك أن تطوير المعرفة "العلمية" يقوم على تجاوز الاهتمامات والمصالح الخاصة للناس. فإتاحة الفرصة لشخص للحصول على عمل قد يكون على حساب شخص آخر بإخراجه من عمله. وما يساعد البعض على التغلب على مآسي الحياة أثبت أنه غير فعال لدى أشخاص آخرين. لذلك فإن الحالات الفردية والوقائع الخاصة تعتبر أسساً غير كافية أو ملائمة للحكم على طبيعة النظرية وأهميتها. فالتواتر والاطراد والانتظام والصور النمطية في الحياة الاجتماعية هي التي يتجه إليها البحث الاجتماعي. وبالرغم من أن الشك مطلوب في عمليات الإثبات الإمبريقي للأفكار المصاغة بطريقة منظمة (النظرية)، فإن ذلك لا يبرر من خلال الكليه التي تسمح بإلغاء دور النظرية أو إغفالها في عملية البحث من خلال التركيز على الحالات الفردية والخاصة.

٢ - النظرية كمهارة سرية (لغز) MYSTIQUE

هناك أشخاص آخرون لديهم تصور آخر للنظرية فهم يظنون أن النظرية تمثل أفكاراً ليست لها إجراءات عملية ملائمة وهذا التصور يضفي على النظرية صفة السرية أو (اللغز) حيث يفصلون بين النظرية والواقع. ويحاول كثير من الباحثين الحصول على بيانات واقعية تتعلق بالمقدمات النظرية لطمس حقيقة أن الموضوع غير قابل للقياس.

ويرى كثير من العلماء الاجتماعيين أن الظاهرة عندما تكون قابلة للقياس لا تكون ملائمة نظرياً وأن ما هو نظري يستعصي على البحث الإمبريقي، وبالتالي فمهما أجرينا من بحوث فإنها تبقي نظرية Theortically أو غير ملائمة أو أن لها ـ في أحسن الأحوال ـ أهمية ثانوية (Black And Champion : 1976 : 54).

٣ – النظرية كمسلمات ثابتة Confirmed

هناك اعتقاد شائع بعدم وجود قضايا في علم الاجتماع مرتبطة فيما بينها بصورة منظمة تماثل النظرية أو تطابقها. ولا توجد قوانين نهائية ثابتة للسلوك الاجتماعي، كما لا توجد مجموعات من القضايا متوقعة إمبريقياً يمكن بواسطتها إقامة علاقات جديدة للدراسة أو التنبؤ. وعندما يطبق معيار النظريات على أفكارنا يكون من العبث اعتبارها نظريات. وبالرغم من أهمية الأفكار الاجتماعية الواضحة والإبداعية والمثمرة والموجهة فإنها مليئة بالتضارب (اللاتناغم)، وتصاغ بصورة فضفاضة جداً بحيث يتعذر التعامل معها كأنساق راسخة (ثابتة) من الفكر. وحتى تلك المنظورات التي تستند إلى أسس واضحة منسقة ومخططة فإنها تتضمن قدراً كبيراً من التأملات. وما يزيد الأمر سوءاً أن هناك إثباتاً قليلاً في منظور معين يناقض جزئياً الشواهد التي تم اختبارها وتحققت في منظورات أخرى (Black And Champion : 1976 : 55).

رابعاً: أهمية النظرية ووظائفها

يعتبر وضع النظرية أو صياغتها من أهم النشاطات العلمية وأكثرها تميزاً. ويشير المصطلح إلى ضرب من النشاط هو الأكثر أهمية بالنسبة للكائنات البشرية ويمثل بعداً رمزياً للتجربة الإنسانية مقابل الحقيقة البهيمية غير العاقلة. ويرى كابلان A. Kaplan أن مضمون التجربة الإنسانية ليس تتابعاً للوقائع فحسب، ولكنه اطراد للوقائع ذات المعنى في ذاتها وفي أنماط حدوثها، وهي متساوقة منطقياً من حيث علاقة أحدها بالآخر.

ولا يقتصر التنظير على تعلم الإنسان من خلال التجربة، ولكنه يتضمن الإحاطة بفكرة عما يجب تعلمه وما يمكن تعلمه. وإذا قارنا بين الإنسان والحيوان في هذا الصدد نجد أن الحيوانات تتعلم وفق أو (بحسب) التجربة، ولكنها لا تتعلم منها لأن التعلم من From Learning يتطلب بناءات فرضية رمزية يمكنها تقديم تجربة بديلة... (Kaplan : 1964 : 295).

أما الوظائف التي تؤديها النظرية فمتنوعة وعديدة وسنعرض لأهم تلك الوظائف فيما يلي:

١- النظرية وسيلة مهمة لوضع وتفسير ونقد وتوحيد القوانين وتعديلها لتتناسب مع البيانات، بالإضافة إلى التوجيه لاكتشاف قوانين وتعميمات جديدة وأكثر قوة.

٢- من أهم وظائف النظرية التوصل إلى بناء يفسر العلاقات بين فئات الوقائع... والنظرية المشتقة Theorem مقيدة في الوصف والتفسير والضبط في سياق الوقائع التي تدور حولها النظرية.

٣- بالرغم من أن معظم النظريات تستخدم في علم الاجتماع في أيامنا هذه لأغراض التوجيه أو المساعدة على الكشف، فإن القليل منها يمكن بواسطته التنبؤ أو الضبط، ومع ذلك فإن النظريات حتى الفجة منها يمكن أن تفيد كموجهات للبحث... لذا فإن النظريات تزودنا بالتوجيه من أجل التمييز بين الظواهر الملائمة وغير الملائمة.

٤- تساعد النظريات على تحديد الشروط أو (الظروف) التي تعوق عملية التفسير والشروط التي تجعل هذه العملية ناجحة.

٥- توحي النظريات بتطبيقات أخرى لأنساق التفسير. ففي تفسير عوامل الجريمة مثلاً وجد أن هناك ظواهر أخرى مماثلة من حيث نمط التكرار كالطلاق، والبطالة والانتحار... إلخ. وعلى العكس من ذلك هناك ظواهر

أخرى تكراراتها منخفضة في مركز المدينة وتكرارات أعلى في المناطق البعيدة عن المركز مثل: الناس ذوي التعليم العالي، ذوي الدخول العالية الذين يملكون منازلهم أو المستخدمين في وظائف أو مراكز ذات مهارات. وبمقارنة التوزيع المكاني لهذه المتغيرات يحصل الباحث على صورة أوضح للعوامل الاجتماعية للجريمة وأنماط السلوك (Schrage : 1967 : 220 - 53).

٦- تقوم النظريات أيضاً بالكشف سواء عن القوانين الخاصة أو الظواهر. فالمبادئ والنظريات تستخدم كمقدمات في المنهج الاستنتاجي فقد يحدث أن يهتدي الباحثون في أحيان كثيرة إلى الكشف عن بعض الظواهر المجهولة أو القوانين الخاصة (قاسم: ١٩٥٣: ٧٩).

٧- يرى بعض علماء الاجتماع أن أهم وظائف النظرية تتمثل في تقنين المعرفة، وضبط التحيز في الملاحظة والتفسير (Rose : 1964 : 675 - 6).

٨- تستخدم النظريات لتصنيف الظواهر إذ أن من العسير على الباحث استخدام نظرية واحدة أو مبدأ واحداً لتفسير جميع الظواهر التي تدرس في أحد العلوم، لذا تستخدم النظريات هنا لتصنيف الظواهر في مجموعات متشابهة وتشترك عدة نظريات في تفسير مجموعة واحدة من الظواهر... وتقوم النظريات هنا بتصنيف الظواهر وعزلها تماماً تمهيداً لفهمها والكشف عن قوانينها (Schrage : 1967 : 220 - 53).

٩- تعمل النظريات على تنظيم المعلومات وتركيزها ويعود ذلك إلى أن الباحث يقوم بجمع الوثائق وتقرير الحقائق أو القوانين وفق متطلبات تخصصه حيث يتعذر عليه الإحاطة بجميع التفاصيل لكثرتها، لذا وجب عليه التخصص مع الاعتماد على بحوث وتجارب الآخرين. وكلما زاد التخصص أصبح من الضروري تنظيم الحقائق التي يكشف عنها فتختلف فروع البحث ويتطلب

ذلك وضع بعض الآراء العامة التي تنظم جميع القوانين المعروفة وتبين العلاقات بين مختلف الظواهر. والآراء العامة هي النظريات والمبادئ التي تستخدم إما لوضع القوانين الاستقرائية أو المقدمات شديدة العمومية لتستنبط منها القوانين بطريقة الاستنتاج الرياضي (Schrage: 1967 : 220 - 53).

١٠- يرى زيتربرغ H . Zetterberg أن مهمة النظرية تتمثل في صياغة الحد الأدنى من التعريفات والفروض التي يتطلبها الوصف والتفسير في موضوعات علم الاجتماع (Rose : 1964 : 675 - 6).

١١- يرى ثيودورسون وثيودورسون G . Theodorson And A . Theodorson أن النظرية في علم الاجتماع تعطينا تفسيرات متسقة وتنبؤات عن طبيعة وأنماط وديناميات التفاعل الاجتماعي الإنساني، حيث تعمل هذه النظرية على دمج الملاحظات والرؤى الفردية حول الحياة الاجتماعية في بناء مترابط منطقياً (Theodorson And Theodorson : 1964 : 438).

١٢- تضع النظرية أساساً من المعرفة والمنهج لضبط الأوضاع الاجتماعية في ضوء شروط معينة (Schrage: 1967 : 220 - 53).

١٣- يقدم بناء النظرية في علم الاجتماع أطراً تصورية تسهل الملاحظة الصحيحة والوصف الموثوق به للوقائع الاجتماعية (Schage: 1967 : 220 - 53).

١٤- تتيح لنا المفاهيم الرئيسة في النظرية رؤية جوانب مهمة من الحقيقة الاجتماعية التي قد يفوتنا إدراكها بوسائل أخرى. فالمفاهيم هي الخطوة الأولى الضرورية في فهم الظاهرة الاجتماعية وتحليلها... (Wallace And Wolf : 1995 : 5).

١٥- تفيد أطر التصنيف في تحديد التركيبات (الائتلافات) المتعددة الممكنة بين مجموعات المتغيرات، ويتم ذلك إذا أضيفت لهذه الأطر افتراضات حول العلاقات بين المتغيرات (GROSS : 1967 : 231).

ويتضح مما سبق أهمية النظرية في تحقيق المعرفة العلمية. فالنظرية لها دور مهم وفعال في جميع مراحل ومتطلبات وشروط تحقيق المعرفة العلمية سواء في عملية الوصف أو التفسير أو التنبؤ والضبط والتصنيف والتنظيم والتقنين والكشف، بالإضافة إلى التوجيه والتحكم في التحيز ووضع القوانين والتعميمات والتعريفات والفروض والأطر التصورية لتسهيل التوصل إلى المعرفة العلمية الصحيحة.

وهذا يفند رؤية الدارسين الذين ينظرون إلى النظرية كأفكار وهمية ما دامت لا علاقة لها بوقائع الحياة اليومية فالوظيفة الأساسية للنظرية تتمثل في التوصل إلى المعرفة العلمية الصحيحة وتحقيق أهداف العلم.

خامساً: موضوع النظرية وافتراضاتها

تختلف النظريات من حيث موضوعها وافتراضاتها وأنماط المسائل التي يعتقد أن النظرية يمكن ويجب أن تجيب عليها: ما موضوع التنظير في علم الاجتماع؟ هناك إجابات كثيرة لهذا السؤال منها على سبيل المثال لا الحصر: نمط التفاعل، العلاقة، النسق، البناء والوظيفة ونماذج أخرى عديدة. حول مسألة موضوع أو (مجال) النظرية ولكن جميع هذه النماذج لم تقدم أساساً يعتمد عليه في التنظير للمجتمع.

١- لقد اعتبر بعض علماء الاجتماع ومنهم فيبر Weber الفعل الاجتماعي الموضوع الرئيس للنظرية في علم الاجتماع حيث أضفى عليه أهمية كبيرة وعرف علم الاجتماع بأنه الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي. أما بارسونز فقد بدأ نشاطه في التنظير بعلم اجتماع الفعل وكانت نقطة انطلاقة الفعل الفيبري في علم الاجتماع، ولكنه تحول تدريجياً نوعاً ما بعد ذلك عن هذا الموقف نحو جوانب التفاعل والنسق واستمر في تبني المدرسة الدوركيمية في علم الاجتماع... ووضع الفاعل الماركسي لا يختلف عنه لدى بارسونز في موضوع الفعل الموجه. فالنظام والنسق ـ كما يرى بارسونز ـ يعطيان الفاعل وجوده الملائم.. والفاعل يفعل كما يوجهه النسق على المدى الطويل ويشبه ذلك غالباً وضع الفاعل لدى ماركس الذي

يحكمه القانون الصعب للديالكتيك... لقد رسم ماركس الفاعل باعتباره عاجزاً عن تغيير السياق القائم للتاريخ الإنساني (18 - 116 : 1977 : Tripathi).

لذا يمكن القول: إن بارسونز وماركس قد أغفلا عنصراً مهماً جداً في الطبيعة الإنسانية وهي أن لدى الإنسان قوة لا تعرف الكلل في بناء أسس جديدة للفعل وهذا الإغفال مسؤول عن تشويه صورة الإنسان التي تشكل أساس بنائهما النظري.

والنظرة الصحيحة للإنسان كفاعل كما يرى تشمبر Chamber تكشف أنه فعال في التحليل النهائي. ومدخل تشمبر لا يحكم بخضوع الإنسان في مرحلة الانحدار خلال عملية التغيير. والإنسان توجد لديه مواقف دائمة هي قدرة الإنسان على الإبداع، وخاصية قوة الإرادة وخاصية الفهم الذاتي...(18 : 1977 : Tripathi).

٢- أما تيماشيف فيرى أن موضوع نظريات علم الاجتماع في الماضي والحاضر يدور حول الأسئلة التالية:

أ) ما المجتمع والثقافة؟

ب) ما الوحدات الأساسية التي يجب أن يحلل إليها المجتمع والثقافة؟

ج) ما طبيعة العلاقة بين المجتمع والثقافة والشخصية؟

د) ما العوامل التي تحدد حالة المجتمع والثقافة وتغيرهما؟

هـ) ما علم الاجتماع وما المناهج الملائمة له؟ (تيماشيف: ١٩٧٠: ١٧).

٣ - هناك من علماء الاجتماع من يصنف النظرية الاجتماعية من حيث موضوعها إلى نوعين:

أ) النظريات أو المنظورات التي تتناول خصائص البناء الاجتماعي والأدوار ذات المدى الواسع أو علم اجتماع الوحدات الكبرى Macrosociology .

ب) النظريات أو المنظورات التي تعنى بالاتصال بين الشخص والشخص الآخر وتفاصيل التفاعل الإنساني والاتصال أو علم اجتماع الوحدات الصغرى Microsociology .

وتعتبر نظريتا الوظيفية والصراع المدخلين الرئيسين اللذين يعنيان بالسمات العامة للبناء الاجتماعي والطبيعة العامة للنظم الاجتماعية. إنها تركز على العلاقات ومضامين الشرائح العامة في الوضع الاجتماعي مثل الطبقات عند ماركس وعلاقات الحياد الوجداني Affectively Neutral التي يرى بارسونز T . Parsons أنها كانت سائدة في المجتمعات الصناعية. ولا شك أن موضوعات علم اجتماع الوحدات الكبرى توجد في سياق نظريات الوظيفية والصراع والتطور.

هذه النظريات لا تعطي الاهتمام الأكبر لعلم النفس الفردي، ولكن للتنظيمات والنظم ضمن المجتمع وللأدوار الموصوفة اجتماعياً التي يؤديها الأفراد، لذا لا تعنى هذه النظريات كثيراً بديناميات الفعل الفردي.

ومن جهة أخرى فإن نظريتي التفاعل الرمزي والظاهراتية تختلفان كثيراً عن النظريات السابقة (الصراع، والوظيفية، والتطور) لأنها تختبر التفاعل الإنساني بالتفصيل الدقيق. فمثلاً يحاول البائع عندما يتعامل مع عميل مشاكس أن يفهم الموقف معتمداً على التجارب الفردية التي مرت به سابقاً مع عملاء آخرين بالإضافة إلى اعتماده على القواعد الاجتماعية.

إن موضوعات علم اجتماع الوحدات الصغرى لا تصف جوانب البناء الاجتماعي ولكنها بدلاً من ذلك تشتمل على الألفاظ المطلوبة لمناقشة أفعال الناس الخاصة (Wallace And Wolf : 1995 : 6).

٤ – إن أهم الفروض لدى المنظرين في علم الاجتماع تتعلق بالطبيعة الإنسانية.. ويختلف المنظرون في رؤيتهم للسلوك الإنساني فبعضهم يرى أن هذا السلوك محدد، ومن ثم يمكن التنبؤ به. بينما يركز منظرون آخرون على الإبداع الإنساني في السلوك، أي أن هذا السلوك يتعذر التنبؤ به أو توقعه.

ويتضح هذا التناقض حول السلوك الإنساني بصورة جلية بين النظرية الوظيفية ونظرية الاختيار الرشيد من جهة، وبين نظرية التفاعل الرمزي والظاهراتية من جهة أخرى. ويمثل جورج هومانز G . Homans وجهة النظر الأولى حيث يركز على الدور الذي يؤديه الأفراد "الخيارات والقرارات" Choices And Decisions ولكن اتجاهه العام يتمثل في الاعتقاد بأن السلوك الإنساني قابل ـ من حيث المبدأ ـ للشرح والتفسير. وقد يكون من المتعذر عملياً أن نجد الأصول الأساسية للتنبؤ بقرار ما، ولكنها مع ذلك محددة. ويرى هومانز أنها ناتجة عن ظروف معينة مسبقة ومبادئ أو قوانين عامة. ونجد نفس النظرة واضحة في الوظيفية حيث يرى دور كايم وميرتون وبارسونز أن السلوك قابل للتنبؤ كلياً وهو دالة على قوى أساسية معينة وحاجات ومجموعة معينة من المعايير المستدمجة والقيم التي تميز مجتمعاً ما. وبالرغم من ذلك فإن تفسيرات الوظيفيين لا تتجاهل القرارات الفردية، فنظرية الفعل لدى بارسونز تدور حول الدوافع الفردية.

وينطبق ذلك أيضاً على نظرية الصراع، فقد أظهر المنظرون داهر ندروف وكوزر وكولنز بوضوح بحثهم عن قضايا تفسيرية تتضمن عموماً أن السلوك حتمي ومحدد وقابل للتنبؤ. وينسحب ذلك أيضاً على الكتاب النقديين واليوتوبيين (المثاليين). لذا تعتبر نظرية ماركس العامة في التطور حتمية كلياً.

وعلى النقيض من نظريتي الوظيفة والصراع تركز نظريتاً التفاعلية الرمزية والظاهراتية (وهما ضمن منظورات علم اجتماع الوحدات الصغرى) على الفعل الإنساني ومجموعة من الافتراضات حول الطبيعة البشرية. فجميع العلوم الاجتماعية (ويمكن أن يضاف إليها علم الحياة) تختلف عن العلوم الطبيعية مثل الجيولوجيا وعلم الفيزياء من حيث إنها تتعامل مع السلوك التأثري. فالعلوم الإنسانية تتضمن مدى واسعاً من الرموز والمعاني والأشياء غير القابلة للملاحظة. ويعتقد أصحاب نظرية التفاعل الرمزي والظاهراتية أن الفرد فعال وخلاق مما يجعل من المستحيل التنبؤ بسلوكه. وبالرغم من أن أصحاب التفاعلية الرمزية لا ينكرون وجود انتظامات مهمة في السلوك، فإنهم يؤكدون على الطريقة الخلاقة التي يفسر بها الناس المعاني في سياق

الفعل. إنهم يميزون بين الأنا (Me) موضوع الفعل الذي يدمج الاتجاهات الملقنة والمعاني مع الأنا (I) المبدعة غير القابلة للتنبؤ (6,7 : 1995 : Wallace And Wolf).

أما الظاهراتيون فبدلاً من التناقض بين الأنا الفاعلة(I)) والأنا السالبة أو المتأثرة (Me) فإنهم يشيرون إلى الطبيعة المضللة لعمليات الاستنتاج والاقتراحات. فعالمنا الاجتماعي ككل وتجربة المجتمع والتفاعل الاجتماعي (كما يرون) هي أشياء قمنا نحن ببنائها خلال مسيرتنا وهي ليست أشياء حقيقة موضوعية، وبالتالي يجب أن لا نضع قضايا واقعية تعرض طابعاً مضللاً (خادعاً) للمعنى والبناء الراسخ في الذهن على هذه العملية.

وبالإضافة إلى الاختلاف حول حتمية السلوك الإنساني، فإن النظريات السابقة تختلف حول الدافع الأساسي للسلوك لدى الكائنات البشرية. فالنظرية الوظيفية تفترض ـ بدرجات مختلفة ـ أن دوافع الناس والسلوك هي دالة (وظيفة) للقيم الاجتماعية التي استدمجوها وإن أهداف الناس الأساسية في مجتمع معين تتشكل منذ ميلادهم. كما تميز الوظيفة أيضاً الحاجات الأساسية Underlying Needs أو الملزمات الوظيفية Functional Imperatives وهي مشتركة بين الكائنات البشرية كلها، وعلى جميع المجتمعات مواجهتها.. إنها القيم المطبوعة اجتماعياً تلك التي تم التركيز عليها. أما منظروا الصراع فقد ركزوا على العكس من الوظيفيين على المصالح Interests التي اعتبروها بينة في ذاتها وتتضمن التحرر من استعباد من هم في مركز القوة ويملكون القسط الأكبر من الثروة والمكانة. هؤلاء المنظرون يعتبرون المصالح أساسية وشائعة في جميع المجتمعات وأنها القوة الأساسية التي تدفع السلوك الإنساني في جميع المجالات.

أما التفاعلية الرمزية فترى أن القيم مدمجة في ضمير المتكلم (Me) فالمصالح من النادر أن تظهر في هذا المنظور. أما الظاهراتية Phenomenology فتؤكد على القيم بدلاً من المصالح في سعيها لإثبات أن الناس يثقون بالآخرين من أجل أن يتصرفوا في وضع معين بطرق محددة، ويرون أن هذه الثقة أساس السلوك الإنساني. أما منظرو الاختيار

الرشيد فيتحدثون عن أهمية القيم الاجتماعية والميول Tastes التي تحدد تفضيلات الناس، ولكنهم في التطبيق يتجهون إلى الاستناد إلى الأهداف التي يرون أنها عامة ويفترضون بالتالي أن تجد القبول الاجتماعي أو الاعتبار الاجتماعي. وبذلك فهم يقتربون من فكرة الصراع الاجتماعي حول المصالح العالمية (العامة) (Wallace And Wolf : 1995 : 8).

سادساً: أهداف النظرية

تهدف النظرية في المقام الأول إلى تحقيق الأهداف الأساسية للعلم، وهي الوصف والتفسير والتنبؤ. وقد اتجهت النظريات في مراحلها المبكرة إلى صحة الوصف. بينما اتجهت مؤخراً إلى التفسير والضبط (Control . Schrage : 1967 : 220 - 53).

إن جميع العلوم (بما فيها العلوم الاجتماعية) تهتم بصورة أساسية بزيادة إدراكنا للأشياء مع تقديم التفسير الذي يجعلنا نشعر بالفهم أكثر من السابق... ولكن التفسير يتدرج من إعادة الوصف المفصل لما يحدث (غالباً باستخدام مصطلحات غير مألوفة والطرق التي ننظر بها إلى الأشياء ولكن هذا الوصف نادراً ما يتطرق إلى تحديد السلاسل السببية) إلى تفسير الأشياء بإرجاعها نكوصاً إلى مفاهيم مختلفة وأكثر تجريداً. وهذه التفسيرات الأكثر دقة وتطوراً لا تقتصر على زيادة فهمنا، ولكنها تتيح لنا التنبؤ بدقة تامة. وهذا ما يجعل التفسير المبني على الاستنتاج أداة تقنية قوية.

والتفسير والتنبؤ ليسا متماثلين. فالتفسيرات المهمة التي تشير إلى مبادئ عامة قد لا تسمح بكثير من التنبؤ. ونظرية التطور مثال على ذلك. وعلى العكس من ذلك فإن التنبؤ يمكن أن يعتمد ببساطة على ارتباط إحصائي دقيق، وليس على الفهم إطلاقاً (Wallace And Wolf : 1995 : 12).

ولا غرابة أن ترتبط أهداف النظرية بالمنهج إذ يشكل المنظور نموذجاً علمياً في العلم الاجتماعي. فالتفاعلية الرمزية والظاهراتية تركزان أكثر على التحليل الوصفي.

فالظاهراتية تهتم بوصف الوقائع، وذلك ناتج بالضرورة عن رفضها لفكرة القوانين العامة والوضعية حول الحقيقة. كما يرى أنصار نظرية التفاعل الرمزي أن أسانيد التفسير العامة تتجه لتجاهل وإغفال كثير من تجارب الناس غير الملائمة التي يشوبها الخلل إلى حد كبير.

أما نظريات الوظيفية والصراع والاختيار الرشيد فتهدف إلى تفسير الظواهر استناداً إلى مبادىء أكثر تجريداً. وتعتبر النظرية الوظيفية أقرب النظريات الثلاث إلى الوصف، فنظرية بارسونز مثلاً تنطوي على إعادة وصف للمجتمع كنسق وتقدم تصنيفاً جديداً. ولكن بارسونز لم يفسر كيف تتطور أجزاء النسق.

ومن جهة أخرى كان منظرو الصراع مهتمين بالتفسير أكثر من الوظيفيين فقد توصلوا إلى قضايا تنطوي عموماً على تنبؤ بالرغم من أنها لم تصل إلى التنبؤ بأحداث تاريخية محددة. وتتضمن نظريتهم شيئاً من إعادة الوصف وذلك عندما يتحدثون عن الأيديولوجيا Ideology أو الاغتراب Alienation . إلا أن اهتمامهم كان منصباً على تفسير مستفيض لنشوء الوقائع والنظم من خلال أفعال ومصالح الجماعات المختلفة ذات الموارد المتباينة والتغيرات في التكنولوجيا والنظام الاقتصادي والأفكار ومجموعة الطقوس. وقد قام ماركس باستخدام هذه القضايا التفسيرية أساساً للتنبؤ وكان الأكثر طموحاً في تفسير مستقبل تطور المجتمع القائم...

وتعتبر نظرية الاختيار الرشيد (وبخاصة نظرية التبادل) أقل النظريات السابقة اهتماماً بالوصف وأكثرها اهتماماً بالتفسير والتنبؤ. وقد ركز أصحاب هاتين النظريتين على موضوعات محددة تتضمن سلوك الجماعات الصغيرة والسلوك الفردي وهم متفقون على أن تَعَقُّد الموضوعات الاجتماعية يجعل من التنبؤ أمراً مستحيلاً... (Wallace And Wolf : 1995 : 13).

سابعاً: منهج النظرية

تختلف المنظورات في النظرية الحديثة من حيث منهج الإثبات أو البحث وبخاصة من حيث تبنيها التعليل القائم على الاستنباط (الاستنتاج) Deductive أو الاستقراء Inductive . فمدخل الاستنباط (أو العلم الطبيعي) يقوم على وضع فروض تفسيرية حول مشكلة البحث واستخدام التعليل المنطقي لاستنتاج النتائج الواقعية. وفي هذه الطريقة يتطلب بناء النظرية أن تحدد المفاهيم الأساسية بدون لبس قبل استخدامها في وضع الفروض. فمثلاً استخدم دور كايم Durkheim المفاهيم الأساسية (وهي الأنانية Egoism، الإيثار Altruism اللامعيارية Anomie والقدرية Fatalism) كمتغيرات رئيسة مستقلة في تحليله لمعدلات الانتحار. ويلي ذلك اختبار الفرض من خلال البيانات حول العالم الواقعي.

أما في الاستقراء فيبدأ العالم بملاحظة البيانات والاستغراق فيها بنفسه، فهو يشعر أنه إذا بدأ التحليل بفروض محددة بوضوح فإنه سيجد صعوبة بالغة وقد يغفل في تحليله جوانب معينة من الموضوع. ويرى بدلاً عن ذلك أن من الأفضل معرفة الموضوع أولاً والاستغراق فيه جيداً ثم يتم بالتالي وبصورة تدريجية استنتاج الوصف أو التفسير لما يود تفسيره في الواقع.

أما استخراج المفاهيم فيتم باستخدام طريقة الاستقراء في التحليل النهائي لعملية البحث. ولنضرب مثالاً على طريقة الاستقراء: إن مشاهدات غوفمان Guffman الواسعة في مستشفى عقلي أدت به إلى ابتداع مفهوم النظام الكلي Total Institution . وهكذا فالاستقراء يعني الاستنباط من الخاص إلى العام. وفي كلتا طريقتي الاستنباط والاستقراء يهتم المنظر بالمفاهيم المحددة جداً بحيث يمكن استخدامها لفهم ما يجري (Wallace And Wolf : 1995 : 8,9).

وإذا أردنا تصنيف النظريات الرئيسة في علم الاجتماع من حيث الطريقة المنهجية (الاستدلال والاستقراء) نجد أن نظريات الوظيفة والصراع جميعها تقوم على الاستنباط

حيث يتم في هذه النظريات استنتاج الأسانيد والفروض منطقياً من قضايا سابقة أكثر تجريداً. فمثلاً الوظيفي روبرت ميرتون R. Merton يرى أن الانحراف ينتج عن نقص التوافق بين القيم والفرص. وقد فسر ـ مُنظّر الصراع ـ رالف داهرندورف R. Dahrendorf الصراع بإرجاعه إلى المبادئ الأكثر عمومية للصراع في التنظيم. كما كرس راندال كولنز R. Colins جهداً كبيراً للدفاع عن التحليل الاجتماعي العلمي القائم على الاستنباط وتأييده. هذه المبادئ تربط بين التطور الاجتماعي والتغيرات المادية كما تربط بين البناء الفوقي المكون من السياسات والبناء التحتي المكون من الحياة الاقتصادية. فأسلوب الإثبات في هذه النظرية يختلف بصورة واضحة عن النظريات الأخرى وذلك لتأكيدها على التفكير الديالكتيكي إذ ترى أن الوقائع الاجتماعية ناتجة عن التناقضات في النظام القائم (بدلاً من الانتقال خطوة خطوة). كما أن نظرية الاختيار الرشيد أيضاً تنتهج طريقة الاستنباط فقد وضع هومانز Homans قضايا واستنتج منها قضايا أخرى موضحاً كيف أن الامتثال لمعايير الجماعة ينتج عن تقويم الأفراد للاستحسان الاجتماعي (Wallace And Wolf : 1995 : 9,10).

ومن جهة أخرى نجد أنصار نظريتي التفاعل الرمزي Symbolic Interaction والظاهراتيـة Phenominology يتبنون طريقـة الاستقـراء حيث يرون القيام بالملاحظة والتجربة أولاً، ثم الدخول أو استخلاص أو (استنتاج) الوقائع بعد ذلك. فمؤيدو التفاعلية الرمزية مثلاً يرون أن التفكير القائم على الاستنباط ينطوي على زيف فالفاعل والتفسير يتم تبسيطهما بإفراط بواسطة الوقائع المسبقة ويرون في هذا الصدد أن على علماء الاجتماع ـ بدلاً من ذلك ـ أن يركزوا على الفهم من خلال الملاحظة المشاركة لمعرفة كيف يرى الناس الأشياء في وضع معين، ومن ثم تستنتج الوقائع بعد ذلك. أما أنصار الظاهراتية فهم أكثر عداء للعلم الاجتماعي الذي يستند إلى الاستدلال فهم يعتقدون أن النظريات التي تستند إلى الاستنباط بافتراضها قوانين وضعية عامة تنطوى على خطأ وزيف حيث تفترض وجود حقيقة Reality موضوعية واحدة يمكن استناداً إليها وضع تعميمات قابلة للاختبار. ويرى الظاهراتيون بدلاً من ذلك أن ما يصفه أي

كائن بشري هو نظرته الخاصة التي تستند إلى افتراضات ضمنية... إنهم يرون أن مهمة علم الاجتماع ليس التوصل إلى قوانين سببية عامة ولكن مهمته ملاحظة نظام التجربة وتنظيمها بصورة مباشرة واستخدام طريقة التوثيق Documentary Method في التفسير لتحديد الأنماط المتواترة في النفس.

كما رُفض نموذج الاستنباط Deductive Model من قبل المنظرين النقديين Critical Theorists لأسباب عديدة، فقد هاجموا ما دعوه النظرية التقليدية أو الوضعية Positivist لأنهم رأوا أن الحجج أو الأسانيد التي تستند إلى الاستنباط يتعذر تقويمها بصورة موضوعية لأنها تهدف إلى الوصول إلى المعرفة الخالصة Pure - Knowledge .

كما أن أنصار النظرية النقدية لا يؤمنون بالملاحظة المشاركة، وقد هاجموا الظاهراتية لاعتمادها على الحدس. وتفترض النظرية النقدية أن الحقيقة والقيمة لا ينفصلان وتفترض منهجها الخاص المناهض للوضعية.

ويربط النقديون الظواهر الاجتماعية برؤيتهم عن الاحتمالات التاريخية باعتبارها مختلفة وتسمو على الواقع المعاصر ويؤمنون بقدرة الفعل معياراً يمكن بواسطته قياس البدائل (Wallace And Wolf : 1995 : 10).

ويختلف المنظرون في علم الاجتماع في دفاعهم عن استخدام البيانات الكمية ويرتبط هذا الجانب المنهجي بتبني نموذج الاستنباط، فالطريقة العلمية لاختبار الفرض ترتبط باستخدام البيانات الكمية، إلا أن هذا الارتباط لا يمكن تعميمه إطلاقاً إذ أن معظم منظري الصراع لديهم اتجاه معتدل للتعميم ضمن حدود المعلومات التاريخية بينما نجد منظراً وظيفياً كبارسونز لم يستخدم البيانات الكمية إلا قليلاً.

وهناك نقد عام لدى المنظرين ـ بطريقة الاستقراء ـ لاستخدام الأساليب والطرق الكمية، فأصحاب التفاعلية الرمزية مثلاً يعتقدون أن الطرق الكمية تبعد الملاحظ عن دراسة مجالات الحياة وتؤدي إلى تجاهل الجوانب المهمة في المعنى التي لا تستند إلى أدوات القياس. أما أنصار الظاهراتية فلا يعتقدون بالطرق الكمية، لأنها

تتضمن أن الظواهر الاجتماعية يمكن قياسها بصورة موضوعية رغم أن البعض مثل سيكوريل Cicourrel يعتقد أن البيانات الكمية يمكن أن تكون مفيدة إذا كان المحلل مدركاً لحدودها..(Wallace And Wolf : 1995 : 11).

مقارنة بين المنظورات الاجتماعية

مستوى التحليل	واسع (وحدات كبيرة)	ضيق (وحدات صغيرة)
	الوظيفية	التفاعل الرمزي
	الصراع	الظاهراتية
		الاختيار الرشيد

نظرة الكائنات البشرية	قابلة للتنبؤ	خلاقة (إبداعية)
	الوظيفية	التفاعل الرمزي
	الصراع	الظاهراتية
	الاختيار الرشيد	

الدافعية للفعل الإنساني	القيم	المصالح
	الوظيفية	الصراع
	الظاهراتية	الاختيار الرشيد
	التفاعل الرمزي	

الطريقة العلمية	استنتاجية (استنباطية)	استقرائية
	الوظيفية	التفاعل الرمزي
	الصراع	الظاهراتية
	الاختيار الرشيد	

المصدر (Wallace And Wolf : 1995 : 11)

ثامناً: النظرية والحقيقة

يتم تعديل النظرية وإعادة صياغتها لكي تكون في توافق تام مع الحقيقة. والنظرية تبرز أو تعبر عن الترابط المنطقي بين الحقائق المختلفة بصورة واضحة، فإذا كانت الحقائق مستقرة أو (ساكنة) فإن النظريات التي تعبر عن هذه الحقائق لا تتطلب تعديلاً أو مراجعة متكررة. أما النظريات التي تعبر عن حقائق دينامية، فإنها تتطلب إعادة صياغةبصورة مستمرة .

وجدير بالذكر أن هناك اختلافاً بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية من حيث طبيعة البيانات. فالبيانات في العلوم الطبيعية عادة ثابتة ومطردة (منتظمة) وطابعها الاستمرار. أما البيانات في العلوم الاجتماعية فهي على العكس دينامية وموضوعها الإنسان الذي يعتبر أعقد طبيعة آلية وجدت. وبالرغم من أن هناك أبعاداً معينة ثابتة للفعل يعمل من خلالها الإنسان فإن هناك أبعاداً أخرى كثيرة دينامية بطبيعتها من الصعب جداً تحديدها وقياسها.

لقد اعتبر باريتو الحقائق منفصلة عن القوانين والنظريات. وهو يرى أن القوانين لا تتضمن الضرورة. ويورد ميرتون أربعة مواقف تؤدي فيها البيانات دوراً فعالاً في بناء النظرية أو تعديلها فالبيانات بالنسبة له بداية، إعادة صياغة تنقية وتعديل النظريات. ويمكن إيضاحها فيما يلي:

١- يمكن أن ينشأ عن البيانات نموذج سرنديبي، وفي هذا الموقف تدفع البيانات غير الموثقة والاستراتيجية والشاذة لنشوء النظرية.

٢- يمكن أن تعيد البيانات صياغة النظرية، فالبيانات الجديدة قد تدفع لتطوير الإطار التصوري.

٣- قد تدفع الطرق الجديدة في البحث الإمبريقي الباحث إلى تبني أساليب فنية جديدة في البحث.

٤- قد تدفع البيانات الباحث إلى البحث عن تنقية المفاهيم .(Tripathi : 1977 : 107)

تاسعاً: أبعاد النظرية وأسباب اللبس فيها

بالرغم من فائدة النظرية وضرورتها إلا أن بها عيبين يعتبران من أهم خصائصها هما اللبس والغموض فضلاً عن التشرذم والانقسام ويعود ذلك إلى أن طبيعة علم الاجتماع لا تمكنه من تطوير نظرية جامعة لهذا المبحث المعرفي. لذا من المفيد أن نعتبر أن للنظرية أبعاداً أربعة متباينة وأن يقوم المنظرون بأربعة أعمال مختلفة في الوقت نفسه، والأبعاد هي:

١- البعد المعرفي: وذلك باعتبار النظرية وسيلة لإقامة المعرفة عن العالم الاجتماعي، وتستطيع من خلال هذا البعد متابعة الصدوع المعرفية في النظرية مما يساعد على فهم عملية الانقسام والتشرذم التي تعيشها.

٢- البعد العاطفي: حيث تجسد النظرية المنظر ومشاعره وأي جدل نظري سينطوي على محاجة عقلانية فهو يتضمن رغبة في المعرفة وفي أن تكون هذه المعرفة صحيحة. ويمكن لهاتين الرغبتين أن تطغيا على أدلة الواقع الموضوعية. والبعد العاطفي يعكر صفاء الماء إذ يسهم في غموض الأفكار ويؤدي إلى المبالغة في التركيز على نقاط الخلاف أحياناً.

٣- البعد التأملي: ويقصد بهذا البعد أن علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية هما بالضرورة جزء من الحياة الاجتماعية كما أنهما طريقة لفهمها فلابد أن يعكسا ما هو حاصل في هذه الحياة.. وهذا مرتبط بما يقوله علماء الاجتماع عن طبيعة المجتمع المعاصر من تسارع في معدلات التغير في جميع المجالات التقنية والاجتماعية... إلخ، وسرعة تغير الأدوار وتعددها بالإضافة إلى زيادة حياتنا تشعباً، وأصبحت مجتمعاتنا وتنظيماتنا أكبر تعقيداً وخارجة عن سيطرتنا.. والنظرية الاجتماعية تعكس شيئاً من هذا الواقع المتغير والمعقد والمتشعب من خلال انقسامها وتشعبها إلى تيارات ومدارس.

٤- البعد المعياري: وهذا البعد امتداد للبعد الثالث حيث أن أي نظرية تقوم بوصف الواقع إنما تطرح في ثناياها ـ تصريحاً أو تلميحاً افتراضات عما يجب أن يكون عليه شكل ذلك الواقع. وقد أطلق ألفن غولدنر هذه الافتراضات: افتراضات المجال Domain Assumptions وبناء على ذلك فإن أي نظرية تنطوي دائماً على نظرة معينة إلى الفعل السياسي وعلى أشكال الفعل الممكنة والمستحبة وهذا يعني أن النظرية الاجتماعية لا تتحدث فقط عن العمليات والصراعات والمشكلات الاجتماعية، فحسب، بل هي جزء من تلك العمليات والصراعات والمشكلات. (كريب: ١٩٩٩: ٧٣-٩٣).

الملخص

فيما يلي أبرز الأفكار والتصورات التي تضمنها الفصل:

١- التنظير شيء مألوف في الحياة اليومية سواء أدرك الناس ذلك أم لا. إلا أن الناس لا يدركون الافتراضات النظرية التي تعتبر أسس تفسيراتهم أو البناء المنطقي لاستنتاجاتهم، كما أن النظريات في الحياة اليومية غالباً ما تكون مضمرة إلا أن النظريات العلمية تختلف عن الافتراضات الضمنية وغير الواعية في حياتنا اليومية، لذا يجب الانتقال من الإدراك البسيط لنظريات الحياة اليومية إلى إدراك النظرية كجزء من عمل علمي.

٢- تختلف تعريفات النظرية اختلافاً كبيراً ويمثل تعريف النظرية مشكلة منهجية. ونظراً لكثرة تعريفات النظرية فقد تم تصنيفها إلى عدة أنماط وفق الخصائص الأساسية التي تركز عليها التعريفات في كل نمط. أما الأنماط فهي: القابلية للاختبار، التجريد، العلاقات والاتساق المنطقي بين الأجزاء، المدى أو (النطاق). وبعد استعراض التعريفات السابقة للنظريات وفق أنماط التصنيف المذكورة ثم استخلاص تعريف يتلافى النقص والقصور في التعريفات السابقة، ويشتمل على أهم خصائص النظرية.

٣- هناك اختلاف بين نظرية علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية فالمصطلح الأول خاص بالنظرية في علم الاجتماع، بينما المصطلح الثاني أوسع مدى يتضمن نظريات العلوم الاجتماعية الأخرى كعلم الاقتصاد والسياسة والتاريخ وعلم النفس... إلخ.

٤- هناك بعض تصورات خاطئة للنظرية الاجتماعية أهمها اعتبار النظرية الاجتماعية كأفكار وهمية أو كمهارة سرية أو كمسلمات ثابتة.

٥- تؤدي النظرية وظائف عديدة أهمها المساعدة في التفسير وتوحيد القوانين، والتوجيه والمساعدة على الكشف عن القوانين والظواهر، والتصنيف وتنظيم المعلومات، وصياغة التعريفات والفروض، والتفسير والتنبؤ بأنماط التفاعل الاجتماعي، والضبط وتسهيل الملاحظة، والوصف الدقيق للوقائع الاجتماعية.

٦- من أهم موضوعات النظرية أو (افتراضاتها): الفعل الاجتماعي، المجتمع والثقافة والشخصية، التغير، علم الاجتماع والمناهج الملائمة له، خصائص البناء الاجتماعي والأدوار ذات المدى الواسع (علم اجتماع الوحدات الكبرى)، الاتصال بين الشخص والشخص الآخر وتفاصيل التفاعل الإنساني والاتصال أو (علم اجتماع الوحدات الصغرى)، الطبيعة الإنسانية، الدافع الأساسي للسلوك لدى الكائنات البشرية، المصالح والقيم.

٧- من أهم أهداف النظرية الوصف والتفسير والتنبؤ بالرغم من اختلاف أنصار النظريات المختلفة على التركيز على أحد هذه الأهداف أكثر من الأخرى.

٨- هناك منهجان رئيسيان تستند إليهما النظريات في العلوم الاجتماعية هما: الاستنباط والاستقراء. ويقوم المنهج الأول على وضع فروض تفسيرية حول مشكلة البحث واستخدام التعليل المنطقي لاستنتاج النتائج الواقعية. أما الاستقراء فيقوم على ملاحظة البيانات والاستغراق فيها، ثم يقوم الدارس باستنتاج الوصف أو التفسير لما يود تفسيره ثم التعميم ـ بعد استخلاص الحقائق والصفات المشتركة ـ أي أن الاستقراء يعنى الانتقال من الخاص إلى العام.

٩- هناك تلاؤم وتوافق بين النظرية والحقيقة، فإذا كانت الحقائق راسخة وثابتة فإن النظريات التي تعبر عنها لا تتطلب تعديلاً أو مراجعة. أما إذا كانت النظريات تعبر عن حقائق دينامية فهي تتطلب تقويماً وإعادة صياغة بصورة مستمرة. والبيانات في العلوم الطبيعية ثابتة. لذا فإن نظريات هذه العلوم الطبيعية راسخة، ولا تتطلب التعديل أو التغيير بعكس الحال في العلوم الاجتماعية حيث البيانات دينامية وموضوعها الإنسان الذي يعتبر أعقد طبيعة آلية وجدت.

١٠- من أهم خصائص النظرية اللبس والغموض، والتشرذم والانقسام وهما عيبان متأصلان في النظرية، وهناك أربعة أبعاد أساسية للنظرية هي: البعد المعرفي، والبعد العاطفي، والبعد التأملي، والبعد المعياري.

المراجع

المراجع العربية

- تيماشيف، نيقولا. نظرية علم الاجتماع: طبيعتها ونموها (ترجمة محمود عودة وآخرين)، القاهرة: دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٠م.

- كريب، أيان؛ النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس، (ترجمة محمد حسين غلوم)، سلسلة عالم المعرفة، رقم (٤٤٢)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أبريل ١٩٩٩م.

- قاسم، محمود. المنطق الحديث ومناهج البحث. ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م.

المراجع الأجنبية

- Baily, Kaneath, Methods Of Social Research: Newyork: The Free Press, 1978 .

- Black , James . A And Dean J . Champion; Methods And Issues In Social Research; Newyork : John Wiley And Sons Inc, 1976 .

- Fairchild, Henry Pratt; Dictionary Of Sociology; New Jersey : Little Field Adams Co, 1961 .

- Galtong, John; Theory And Methods Of Social Research, (4th Ed), Oslo : George Allen And Unwin Ltd . 1973 .

- Gross, Llewellyh, " Sociological Theory, Questions And Problems " In Gorss Llewellyh; Sociological Theory : Inquiries And Paradigms; Newyork : A Harper And Row And John Weather Hill Inc, 1967; PP 3 -73 .

- Hage, Jerald, Techniques And Problems Of Theory Construction In Sociology ,' Newyork : John Wiley And Sons , 1972 .

- Johnson, Doyle, Sociological, Theory' Newyork : John Wiley And Sons, 1981 .

- Kaplan Abraham, The Conduct Of Inquiry: Methodology For Behavioral Science; San Francisco : Chandler Publishing Co, 1964 .

- Mckinny, John C. ; Constructivc Typology And Social Theory; Pleton : Century Croffs , 1966 .

- Reynolds, Paul Davidson; A Primer In Theory Construction, The Indian ploic: The Bobbos Merril Company Inc, 1971 .

- Rose, Arnold M; " Theory Of Sociology " In Julius Gould And William Kolb (Editors), A Dictionary Of Social Sciences; Tavistock Publications; 1964 : PP 675 - 6 .

- Schrage, Clarence "Elements Of Theortical Analysis In Sociology" In Llewllyn Gross, (Editor); Sociological Theory: Inquieries And Paradigms ; Newyork : Harper And Row And John Weatherhill Inc; 1967: PP 220 - 53 .

- Theodorson, George A . And Theodorson, Achilles . G; A modern Dictionary Of Sociology; (Newyork : Barnes And Noble Books; 1964.

- Tripathi, B . D; Nature Of Sociological Theories: The Action Approach; New Delhi: Sterling Publication Pvt Limited, 1977 .

- Wallace, Walter L. (Ed) Sociological Theory : An Introduction; London : Heimemahn Book Ltd , 1969 .

- Wallace, Ruth. A. And Alison Wolf : Contemporary Sociological Theory; Engliwood Cliffs : Prentic Hall; 1995 .